المقام في القرآن الكريم

(دراسة موضوعية)

أ.د. يوسف بن عبدالعزيز الشبل

الأستاذ في قسم القرآن الكريم وعلومه

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث

بسم الله ، والحمد الله ، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وبعد:

فهذا بحث بعنوان (المقام في القرآن الكريم دراسة موضوعية)،كان القصد منه بيان معنىٰ المقام ودلالاته في القرآن الكريم ، وذكر شيء من أسراره .

ويعدُّ المقام من الألفاظ التي تكرر وروده في كتاب الله، وتعددت إطلاقاته فجاء مضافاً إلىٰ الله تعالىٰ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ١٤ ﴾ (سورة إبراهيم:١٤).

كما أن الآيات القرآنية أوضحت أنَّ للملائكة الكرام مقاماتٍ معلومة كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ١٦٤ ﴾ (الصافات:١٦٤) .

كما أبانت الآيات القرآنية أن لبعض الرسل والأنبياء مقامات متنوعة أعظمها مقام حبيبنا ورسولنا الكريم صلىٰ الله عليه وسلم قال تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾ (الإسراء:٧٩).

وكذلك مقامات المؤمنين أو الكافرين التي وردت وتكررت في كتاب الله الكريم .

ولما كان للمقام ارتباط عظيم في دين الإسلام،كالخوف من مقام الله جل جلاله، ومن الوقوف بين يديه في ذلك اليوم العظيم، وكذلك ارتباطه بأجل العبادات وهي الصلاة كما في قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ ﴾ (البقرة:١٢٥) .

وكذلك تكرُّرُ هذا اللفظ وتردُّده في كتاب الله تعالىٰ مع تنوع دلالاته كان ذلك حرياً بجمع متفرقه وإبراز ما حواه من هدايات وأسرار كامنة والغوص في أعماق هذا الكتاب المعجز.

فجاءت هذه الدراسة متقصية مواضع ورود لفظ المقام ودراسته دراسة تفسيرية.

هذا وقد أظهرت هذه الدراسة ما اشتمل عليه كتابُ الله من أسرار بلاغية،ونكات، ولطائف خفية،فمن تدبر كتاب الله،وتأمل آياته زاده ذلك إيماناً

ويقينـًا وشـوقـًا ومحبـة في قلبه،وهـذا سـرٌ مـن أسـرار الإعجـاز البلاغـي للقـرآن الكريم،والله الموفق وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد

كلمات يدور عليها بحث المقام:

يدور بحث المقام علىٰ كلمات منها:

المقام ، المقامة ، القرآن ، الخوف ، الملائكة ، الأنبياء ، المحمود ، كريم، أمين .

* * *

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيد المرسلين وإمام المتقين صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وبعد:

فإنَّ كتاب الله كتابٌ حكيم، لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي معارفه، فمعينه لا ينضب، وعطاؤه لا ينفد، علومه تتجدد، وفيضه يتدفق، كلما تدبره المسلم وأمعن النظر في آياته وقلب صفحاته زاده ذلك إيمانـًا ويقينـًا، وشوقـًا ومحبة في قلبه، وفتح عليه من العلوم الشيء العظيم.

وإنَّ من أعظم مجالات تدبره النظر في تلك الألفاظ التي ترد في القرآن الكريم دالة علىٰ معان متعددة ومدلولات معينة.

ومن الألفاظ الجديرة بالبحث والدراسة لفظ: (المقام) الذي تكرر وروده في كتاب الله، وتعددت إطلاقاته فجاء مضافـًا إلىٰ الله تعالىٰ، كما أنَّ للملائكة الكرام مقامات معلومة، ولبعض الرسل والأنبياء كذلك مقامات متنوعة أعظمها مقام رسولنا الكريم ﷺ وكذلك مقامات المؤمنين أو الكافرين.

ولما كان للمقام ارتباط عظيم في دين الإسلام، كالخوف من مقام الله ﷻ ومن الوقوف بين يديه في ذلك اليوم العظيم، وكذلك ارتباطه بأجل العبادات وهي الصلاة كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى﴾(١) وكذلك تكرُّرُ هذا اللفظ وتردُّده في كتاب الله تعالىٰ مع تنوع دلالاته كان ذلك دافعـًا لي أن أشارك في هذا المضمار، وأن أغوص في أعماق هذا الكتاب المعجز. فاستعنت بالله تعالىٰ علىٰ بحث هذا الموضوع بتقصّي مواطنه التي ورد فيها لفظ المقام في كتاب الله وبيان معانيه وما ذكره المفسرون تجاهه، وهو عمل جليل متعلق بكتاب الله ﷿ أقدمه خدمة لهذا الكتاب العظيم، وإسهامـًا في إبراز شيء من جوانبه وتجلية لأسراره وهداياته.

سبب اختيار الموضوع:

إن لفظ المقام قد تعدد وروده في القرآن الكريم مما يدل علىٰ أهميته وكثرة

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٢٥).

دلالاته، ولما له من أهمية وارتباط في دين الإسلام، كالخوف من مقام الله ﷻ ومن الوقوف بين يديه في ذلك اليوم العظيم، وكذلك ارتباطه بأجل العبادات وهي الصلاة كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾(١) وكذلك تكرر هذا اللفظ وتعدد متعلقاته. لهذه الأهمية ولرغبتي في خدمة كتاب الله تعالىٰ عمدت إلىٰ الشروع في دراسة هذا الموضوع وجمع شتاته، إسهاماً في إبراز الهدايات القرآنية، فاستعنت بالله فنظمت خطته في مقدمة وتمهيد وثمانية مباحث وخاتمة وثبت للمصادر والمراجع.

المقدمة وفيها: أهمية البحث وسبب الكتابة فيه، وخطته، والمنهج المتبع.
التمهيد وفيه: معنىٰ المقام في لغة العرب.
المبحث الأول: مقام الله سبحانه وتعالىٰ.
المبحث الثاني: مقام الملائكة عليهم السلام.
المبحث الثالث: مقام نبينا محمد عليه الصلاة والسلام.
المبحث الرابع: مقام نوح عليه السلام.
المبحث الخامس: مقام الخليل إبراهيم عليه السلام.
المبحث السادس: مقام سليمان عليه السلام.
المبحث السابع: مقام المتقين.
المبحث الثامن: مقام الكافرين.
الخاتمة، وفيها أهم نتائج البحث.
ثبت المصادر والمراجع.

خطوات منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وسرت فيه علىٰ الخطوات التالية:

- أُورد في كل مبحث الآية أو الآيات المتعلقة به، ثم أبين معناها ووجه الدلالة منها، وأبرز ما فيها من أسرار بلاغية وهدايات قرآنية مما يذكره أهل التفسير.

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٢٥).

- عزو الآيات إلىٰ سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية.
- تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها مع الحكم عليها ما أمكن.
- تعريف الأعلام تعريفًا موجزاً.
- توثيق أقوال أهل العلم من مصادرها.
- وضع ثبت للمصادر والمراجع في نهاية البحث.

آمل أن أكون قد وفقت في الإسهام في خدمة كتاب الله، وفي إبراز شيء من هداياته، وأن أكون جمعت فيه ما تفرق وقربت منه ما بعد، والله الموفق والهادي إلىٰ سواء السبيل. وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

* * *

التمهيد وفيه: معنى المقام في لغة العرب.

المَقام- بالفتح- مصدر ميمي، من قام يقوم مقاماً، ويكون اسم مكان كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى﴾(١) أي: من موضع قدميه، (٢) أو زمان نحو قوله تعالىٰ: ﴿إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ (٣) مدة مكثي فيكم(٤) .

والمَقامة - بالفتح - الجماعة من الناس، رجال قيام، ونساء قيم(٥) .

وتطلق المَقامة علىٰ الخُطبة أو العِظة ونحوهما وعلىٰ القصة القصيرة المسجوعة التي غالباً ما تشتمل علىٰ عِظة أو مُلحة كان الأدباء يظهرون فيها براعتهم ويسمونها المقامات(٦) .

والمَقام: المجلس الذي يُجلس فيه، قال تعالىٰ: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ﴾(٧) .

أي: من مجلسك الذي قعدت فيه للحكم(٨) .

وأما المُقام - بالضم - فهو مصدر أقام يقيم مُقاماً ومُقامة وهو بمعنىٰ الإقامة كما في قوله تعالىٰ: ﴿حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٧٦﴾(٩) أي: قراراً وإقامة(١٠) .

وقال بعض أهل اللغة: " المُقامة بالضم المجلس يؤكل فيه ويشرب، والمَقامة بالفتح المجلس الذي يتحدث فيه"(١١) .

ويؤيد ما ذُكر في معنىٰ المقام ويجليه بصورة أوضح الجوهري(١٢) في الصحاح

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٢٥).

(٢) ينظر: الوجيز للواحدي (١/ ١٣٠).

(٣) سورة يونس، الآية (٧١).

(٤) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١٤٣).

(٥) ينظر: العين (٥/ ٢٣٢)، تهذيب اللغة (٩٢٦٧)، المفردات (٢/ ٢٧٢)، لسان العرب (١/ ٥٦٠) مادة (قوم).

(٦) ينظر: المعجم الوسيط (٢/ ٧٦٨) مادة (قوم).

(٧) سورة النمل، الآية (٣٩).

(٨) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص٣٢٤

(٩) سورة الفرقان، الآية (٧٦).

(١٠) ينظر: جامع البيان (١٩/ ٢٩٧).

(١١) الفروق اللغوية ص٥٣٧ مادة (قوم).

(١٢) الجوهري: إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر، كان من أعاجيب الزمان، ذكاء وفطنة وعلماً، وكان إماماً في اللغة والأدب، وخطه يضرب به المثل؛ توفي سنة (٣٩٣هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء
=

حيث يقول: " المُقامة بالضم: الإقامة. والمَقامة بالفتح: المجلس، والجماعة من الناس. وأما المُقام والمَقام فقد يكون كل واحد منهما بمعنىٰ الإقامة وقد يكون بمعنىٰ موضع القيام، لأنك إذا جعلته من قام يقوم فمفتوح، وإن جعلته من أقام يقيم فمضموم، لأن الفعل إذا جاوز الثلاثة فالموضع مضموم الميم، لأنه مشبَّه ببنات الأربعة، نحو: دحرج، وهذا مدحرجنا. وقوله تعالىٰ: ﴿لاَ مَقَامَ لَكُمْ ﴾(١) أي: لا موضع لكم. وقرئ: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمۡ ﴾ بالضم(٢) أي: لا إقامة لكم. وقول لَبِيد (٣):

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا ** بِمِنَىً تَأَبَّدَ غَولُهَا فَرِجَامُهَا

يعنىٰ: الإقامة "(٤).

ومن خلال ما تقدم يتبين أن المَقام بالفتح من الفعل الثلاثي قام، وبالضم من الفعل الرباعي أقام، ولكل معنىٰ يدل عليه، وقد جاء لفظ المقام في القرآن الكريم بالفتح وبالضم علىٰ ما يدل عليه، وهو ما سيتبين من خلال المباحث التالية:

* * *

=

(١٧/ ٨٠)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ص٣٣٦

(١) سورة الأحزاب، الآية (١٣).

(٢) وهي قراءة حفص عن عاصم، والباقون بالفتح، ينظر: السبعة ص٥٣٠ التيسير في القراءات السبع ص١١٧.

(٣) ينظر: ديوانه ص١٠٧ ولَبِيد بن ربيعة، الشاعر المشهور، أدرك الإسلام، وهو صحابي جليل، كان فارساً شجاعاً سخياً، مات سنة ٤١ هـ. ينظر: الاستيعاب (١/ ٤١٤) الإصابة (٥/ ٦٧٥)، ومعنىٰ عفت: أي درست. المحل: مكان الحلول. ومنىً: جبل أحمر عظيم يشرف علىٰ ما حوله من الجبال وهو قريب من طخفة في بلاد كلاب. الغول: اسم موضع. الرجام: جبل مستطيل بناحية طخفة وفي أصله ماء عذب تشرب منه بنو جعفر قوم لبيد. ينظر: ديوانه بتعليق حمدو طمّاس ص١٠٧

(٤) الصحاح (٦/ ٢٩٥)، مادة (قوم).

المبحث الأول: مقام الله سبحانه وتعالى.

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾(١) وقال تعالىٰ: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾(٢) وقال تعالىٰ: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾(٣).

هذه الآيات ورد فيها لفظ المقام مضافـًا إلىٰ المولىٰ جل وعلا، وكلها جاءت في سياق الخوف من الله – سبحانه وتعالىٰ–، والخوف من الله تعالىٰ يعني: استشعار عظمته ومراقبته والوقوف بين يديه، وهو من أجل منازل العبودية و أنفعها، إذ هو شعار أنبياء الله ورسله – عليهم الصلاة والسلام–، وكذلك هو شعار الصالحين من بعدهم. فالخوف باعث قوي علىٰ عبادة الله عز وجل، وسبب في البعد عن معاصيه، ورادع في الكف عن شهوات النفس، فإن النفس الأمارة بالسوء لا يردعها إلا قوة خوف من خالقها سبحانه وتعالىٰ.

وهذه الآيات التي ورد فيها لفظ المقام مضافـًا إلىٰ الله –عز وجل– قد جاءت في سياق الخوف، وفي كل آية إشارة إلىٰ ثمرة الخوف من الله وأثره علىٰ الخائف.

ففي الآية الأولىٰ الواردة في سورة الرحمن والتي جاءت في سياق ثواب المتقين الخائفين الذين تركوا ما نهىٰ الله عنه، وفعلوا ما أمرهم به، الذي يفيضه الله جل وعلا لهم في الآخرة ورد لفظ المقام فيها مضافـًا إلىٰ الله جل جلاله فهو مقام الله سبحانه وتعالىٰ.

و(مَقَامَ) مصدر ميمي بمعنىٰ: القيام أضيف إلىٰ الفاعل الذي هو الله سبحانه وتعالىٰ. أي: ولمن خاف قيامَ ربه عليه ومراقبتَه لأعماله وإحصاءَها عليه ومجازاتَه له. وهذا القيام كالقيام الوارد في قوله تعالىٰ: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ ﴾(٤)

---

(١) سورة الرحمن، الآية (٤٦).

(٢) سورة النازعات، الآيتان (٤٠–٤١).

(٣) سورة إبراهيم، الآيتان (١٣–١٤).

(٤) سورة الرعد، الآية (٣٣).

أو يكون الفاعل العبد الخائف، وإنما أضيف إلىٰ الرب لوقوعه بين يديه، علىٰ أنه خاف عاقبة الذنب حينما يقوم الخلق كلهم بين يدي رب العالمين، يوم القيامة للحساب. وهذا القيام كالقيام الوارد في قوله تعالىٰ: ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾(١).

وفي إضافة المقام إلىٰ الرب علىٰ الوجهين تفخيم للمقام وتهويل عظيم واقع من النفوس موقعاً عظيماً.

ولا مانع من حمل الآية علىٰ الأمرين لأنه وعد من الله جل وعلا للخائفين قيام ربهم علىٰ أحوالهم واطلاعه عليهم ومراقبته لأعمالهم ومجازاته لهم، وللخائفين ذلك الموقف الذي يقفون فيه للحساب. فالمقام مقام الله علىٰ عبده وهو مقام المراقبة، كما أنه مقام العبد بين يدي ربه وهو مقام المحاسبة. وهذا المقام مقام مكان وزمان، فقيامه جل وعلا عليهم بالتدبير، ومراقبته واطلاعه عليهم في كل مكان وزمان، وهو أيضاً مكان قيامهم بين يدي ربهم في ذلك الموقف الذي يقفون فيه للحساب في زمانٍ معلوم لهم(٢).

فمن خاف قيام ربه عليه ومقامه بين يديه فدعاه خوفه إلىٰ ترك ما نهىٰ الله عنه، وإلىٰ فعل أمره به، فإن له جنتين من ذهب آنيتهما وحليتهما وبنيانهما وما فيهما(٣) إحدىٰ الجنتين جزاء علىٰ ترك المنهيات، والأخرىٰ علىٰ فعل الطاعات(٤).

وأما الآية الثانية وهي قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٤١ ﴾، (٥) فهي قريبة من الآية الأولىٰ إلا أنها جاءت بصيغة الشرط

---

(١) سورة المطففين، الآية (٦).

(٢) ينظر: الكشف والبيان (٩/ ١٨٩)، معالم التنزيل (٧/ ٤٥١)، نظم الدرر (٧/ ٣٩٣)، فتح القدير (٥/ ١٩٨)، أضواء البيان (٧/ ٥٠٦).

(٣) يشهد لذلك ما جاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: "جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلىٰ ربهم إلا رداء الكبر علىٰ وجهه في جنة عدن" رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٨٤٨) كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ برقم (٤٥٩٧)، ومسلم في صحيحه (١/ ١٩٣) كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالىٰ، برقم (١٨٠).

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص٨٣١

(٥) سورة النازعات، الآيتان (٤٠-٤١).

المترتب عليه الجزاء وفيها بيان دافع الخوف وهو نهيُ النفس عن الهوىٰ.

وقد جاء ذكر المقام فيها مضافًا إلىٰ الرب سبحانه وتعالىٰ، والمعنىٰ: أن من خاف قيامَ ربه عليه ومراقبتَه لأعماله وإحصاءَها عليه ومجازاتَه له، أو خاف قيامه بين يدي ربه حينما يقوم الخلق كلهم بين يدي رب العالمين فقد سلم ونجا وكانت عاقبته حسنىٰ.

فالمقام مقام الله علىٰ عبده وهو مقام مراقبته له وعظمته وجلاله، ومقام العبد الخائف بين يدي ربه وهو مقام المحاسبة. وهذا المقام شامل للمكان والزمان، فقيام الرب جل وعلا بمراقبته واطلاعه علىٰ عبده في كل مكان وزمان، وقيام العبد بين يدي ربه في ذلك الموقف في يوم قد تقرر زمانه ومكانه(١) .

فمن خاف قيام ربه عليه وعظمته وجلاله، وخاف قيامه بين يدي ربه عز وجل، فأثَّر هذا الخوف في قلبه فنهىٰ نفسه عن هواها، الذي يقيدها عن طاعة الله، وزجرها عن المعاصي والمحارم التي تشتهيها، وضبطها بالصبر والتوطين علىٰ إيثار الخير، ولم يعتد بمتاع الدنيا وزهرتها ولم يغتر بزخارفها وزينتها فإن الجنة مكانه الذي يأوي إليه، ومستقره ومقامه، لا غيرها(٢).

وأما الآية الثالثة وهي قوله تعالىٰ: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾(٣) فقد جاءت في بيان ما قضىٰ الله به من إهلاك الظالمين، وتمكين الرسل وأتباعهم من أرضهم، وأن العاقبة والنصر للرسل وأتباعهم لهم علىٰ أعدائهم، وأنه يسكنهم الأرض بعد إهلاك أعدائهم(٤) .

و"ذلك" اسم إشارة عائد علىٰ ما تقدم، أي: ذلك القضاء الذي قضيت لمن خاف مقام الله عز وجل، أي: قيامه ومراقبته واطلاعه وعظمته وجلاله، أو لمن خاف

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٢٠٧)، البحر المحيط (٨/ ٣١٨)، السراج المنير (٤/ ٣٥١)، فتح القدير (٥/ ٥٣٥)

(٢) ينظر: الكشاف (٤/ ٦٩٨)، روح المعاني (٣٠/ ٣٦)، تيسير الكريم الرحمن ص٩١٠

(٣) سورة إبراهيم، الآيتان (١٣-١٤).

(٤) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ١٨١)، أضواء البيان (٢/ ٢٤٤).

وقوفه بين يدي الله للحساب والجزاء، والوعيد ما توعد به من عصاه وخالف أمره من إنزال المثُلات به(١).

فالمقام الوارد في الآيات المتقدمة مقام الله جل وعز، أضيف إليه في سياق التخويف، علىٰ وجه التفخيم للمقام والتهويل العظيم، ليقع من النفوس موقعًا عظيمًا، وأنه مقام عظيم القدر، وهو مقام مراقبة الله لعبده واطلاعه عليه وعظمته وجلاله في كل زمان ومكان، وهو أيضًا مقام محاسبة للعبد الخائف بين يدي ربه في ذلك الموقف الذي قد تقرر زمانه ومكانه، والله أعلم.

* * *

---

(١) ينظر: التفسير الكبير (١٩/ ٧٩)، البحر المحيط (٥/ ٤٠١).

المبحث الثاني: مقام الملائكة عليهم السلام.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾(١).

الملائكة خلق من خلق الله تعالىٰ، خلقهم ﷻ من نور، عباد مكرمون، لا يوصفون بالذكورة ولا بالأنوثة، لا يأكلون ولا يشربون، ولا يملُّون ولا يتعبون ولا يتناكحون، ولا يعلم عددهم إلا الله(٢).

وهم خلق كرَّمهم الله فقال عنهم: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾، (٣) ووصفهم بسرعة الاستجابة لأمره، والبعد عن معصيته أو مخالفة أمره فقال: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(٤)، ونفىٰ عنهم وصفهم بكونهم بنات الله ﷻ، ولا أولاداً له، ولا شركاءَ معه، قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾﴾(٥) وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.(٦) تعالىٰ الله عما يقول الظالمون والجاحدون والملحدون علواً كبيراً.

وهذه الآيات جاءت في إبطال ما كان يعتقده المشركون في الملائكة بأنهم بنات الله كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾(٧).

ثم نزَّه الله تعالىٰ ملائكته الكرام مما نسب إليهم من الكفر بهم والكذب عليهم وأنهم بنات الله. وأخبر ﷻ عنهم أنهم قد بلغوا الغاية في العلم والمعرفة، والعبادة

---

(١) سورة الصافات، الآيات (١٦٤ - ١٦٦).

(٢) ينظر: التفسير الكبير (١/ ٧٦)، فتح الباري (٦/ ٣٠٦).

(٣) سورة الأنبياء، الآية (٢٦).

(٤) سورة التحريم، الآية (٦).

(٥) سورة الصافات، الآيات (١٥١-١٥٤).

(٦) سورة الأنبياء، الآية (٢٩).

(٧) سورة الصافات، الآيات (١٥١-١٥٤).

والطاعة والخضوع⁽¹⁾.

وقوله: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ﴾، فيه حذف تقديره: وما منا أحد، أو وما منا ملك إلا له مقام معلوم، فحذف المبتدأ للعلم به. أو وما منا إلا من له مقام معلوم، فحذف الموصوف وهو المبتدأ وأقيمت الصفة مقامه وهو كثير⁽²⁾.

والمقام المعلوم: مكان الملائكة في السماء يعبدون ربهم فيه لا يتجاوزونه، يوضِّح ذلك ما جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال النبي ﷺ: "ما في سماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم". فذلك قول الملائكة: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾⁽³⁾.

وجاء أيضـًا عن ابن مسعود ﷺ قال: إنَّ من السموات لسماءً ما فيها موضع شبر إلا عليه جبهة ملك أو قدماه قائمـًا أو ساجداً، ثم قرأ عبد الله: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ﴾⁽⁴⁾.

فالمقام المعلوم: أن لكل ملك من الملائكة مكانـًا في السماء يعبد الله تعالىٰ فيه لا يتعداه.

قال السمرقندي: " ﴿ وَمَا مِنَّآ ﴾، معشر الملائكة ﴿ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ﴾، يعني: مصلىٰ

---

(١) ينظر: روح المعاني (٢٣/ ١٥٣).

(٢) ينظر: الكشاف (٤/ ٦٨)، الدر المصون (١/ ٤٨٨٦).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢١/ ١٢٦) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٢/ ١٢٢)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ٩٨٤)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٣٥) وزاد نسبته لابن مردويه. قال الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ ١٣٣) برقم (١٠٥٩): وهذا إسناد حسن في الشواهد.
وعائشة أم المؤمنين، الصديقة بنت الصديق، تزوجها النبي ﷺ قبل الهجرة، ودخل بها في شوال سنة اثنتين، توفيت سنة (٥٧ هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ١٣٥)، الإصابة (٨/ ١٦).

(٤) رواه عبدالرزاق في تفسيره (٣/ ١٥٨)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٢١/ ١٢٧) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٢/ ١٢٣)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ١٣٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ١٧٧)، باب في الإيمان بالملائكة، فصل في معرفة الملائكة وأورده السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٣٥) وزاد نسبته للفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر.
وابن مسعود: عبد الله بن غافل الهذلي ﷺ من السابقين إلىٰ الإسلام توفي سنة (٣٢)، ينظر: الاستيعاب (٢/ ٣٠٨)، الإصابة (٢/ ٣٦٠).

معروفًا في السماء يصلي فيه، ويعبد الله تعالىٰ فيه "(١).

وقال ابن كثير " أي: له موضع مخصوص في السموات لا يتجاوزه ولا يتعداه "(٢).

وقد يراد بالمقام المرتبة والمنزلة والوظيفة التي تكون للملك، فما من ملك إلا له مرتبة ومنزلة ووظيفة لا يتعداها، فمنهم الموكل بالأرزاق، ومنهم الموكل بالآجال، ومنهم من يتنزل بالوحي وهكذا(٣)

وقيل: المقام واحد مقامات العبادة المختلفة كالخوف والرجاء والمحبة والرضا.

وقيل: لكل منهم مقام معلوم في القربة والمشاهدة(٤).

فمقام الملائكة المعلوم هو المكان من السماء الذي يتعبد الملكُ من الملائكة اللهَ تعالىٰ فيه لا يتعداه، وذلك لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: " إني أرىٰ ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، أطَّت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء علىٰ الفرش ولخرجتم إلىٰ الصعُدات تجأرون إلىٰ الله "(٥).

---

(١) تفسير السمرقندي (٣/ ١٤٧).

والسمرقندي: نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، أبو الليث، من أئمة الحنفية، من الزهاد المتصوفين. له تصانيف نفيسة، منها " تفسير القرآن، توفي سنة (٤٧٣هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٢٢)، طبقات المفسرين للأدنروي ص٩١

(٢) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٤٣).

وابن كثير: أبو الفداء، إسماعيل بن عمر الدمشقي، كان مفسراً محدثًا مؤرخًا، توفي سنة(٧٧٤هـ)، ينظر: طبقات المفسرين للداودي(١/ ١١١)، البدر الطالع للشوكاني (١/ ١٥٣).

(٣) ينظر: روح المعاني (٢٣/ ١٥٣)، صفوة التفاسير (٣/ ١١١).

(٤) ينظر: معالم التنزيل (٧/ ٦٤)، لباب التأويل (٤/ ٢٩).

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ١٧٣)، والترمذي في جامعه (٤/ ٥٥٦)كتاب الزهد باب في قول النبي ﷺ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا، برقم (٢٣١٢)، وابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٠٢) باب الحزن والبكاء، برقم (٩٠٤١)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ (٧/ ٥٢)، باب ما كان مطالبًا برؤية مشاهدة الحق مع معاشرة الناس بالنفس والكلام برقم (١٣١١٥).قال الألباني: حديث حسن دون قوله: (والله لوددت)، فإنه مدرج.ومعنىٰ (أطَّت)، الأطيط: صوت الأقتاب وأطيط الإبل أصواتها، والصعدات: الطرق، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٢٩)، (أطط)، (٣/ ٥٤)، (صعد).

أو يراد به المنزلة والمكانة من العبادة والتقريب والتشريف

قال ابن جزي: " والمقام المعلوم يحتمل أن يراد به المكان الذي يقومون فيه، لأن منهم من هو في السماء الدنيا وفي الثانية وفي السموات وحيث شاء الله. ويحتمل أن يراد به المنزلة من العبادة والتقريب والتشريف "⁽¹⁾.

وقوله: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾، ⁽²⁾ أي: الملائكة يكونون صفوفاً متراصين بعضهم جنب بعض في طاعة الله تعالىٰ، من صلاة وغيرها. وكذلك يصفون أجنحتهم في السماء، ينتظرون أمر الله ﷻ. وهم المسبحون المصلون المعظمون لله المنزهون الله عن كل ما لا يليق به. وفي وصفهم بهذين الوصفين رد علىٰ من زعم أنهم بنات الله، وشركاء الله، وذلك لأنهم اعترفوا علىٰ أنفسهم بالعبودية والطاعة لله، والتنزيه له ﷻ⁽³⁾

فتبين مما تقدم أن الله ﷻ برَّأ ملائكته الكرام البررة -عليهم السلام- عما قاله فيهم المشركون، وأنهم عباد مكرمون، لا يعصونه طرفة عين، فما منهم من أحد إلا له مقام معلوم وموضع في السماء يتعبد الله به ساجداً أو راكعاً، وما من أحد منهم إلا له مقام تدبير قد أمره الله به لا يتعداه ولا يتجاوزه، وما من أحد منهم إلا له مقام ومكانة في القرب والشرف من الله ﷻ، فهم في حيز العبودية وليس لهم من الأمر شيء، والله أعلم.

* * *

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٣٥).

وابن جزي: هو محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، من أهل غرناطة، مفسر فقيه أصولي مالكي، من تصانيفه: القوانين الفقهية والتسهيل لعلوم التنزيل، توفي سنة (٧٤١هـ)، ينظر: الديباج المذهب لابن فرحون (١/ ١٥٤)، نفح الطيب للتلمساني (٥/ ٥١٤)

(٢) سورة الصافات، الآيتان (١٦٥-١٦٦).

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٣٦)، أضواء البيان (٦ / ٣٠١).

المبحث الثالث: مقام نبينا محمد عليه الصلاة والسلام.

قال الله تعالىٰ: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾(١) .

يأمر الله تعالىٰ نبيه محمداً ﷺ بإقام الصلاة والمداومة عليها وبقراءة القرآن وبالتهجد به من الليل، ويرتب علىٰ ذلك وعده بالمقام المحمود، لأنه هذه الصلاة وهذا القرآن والتهجد به، وهذه الصلة الدائمة بالله هي الطريق الموصل لنيل هذه المكانة العظيمة التي يحمده فيها الخلائق كلهم.

وقوله: ﴿ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ ﴾ أصل الدلوك: الميل، والشمس تميل إذا زالت أو غربت، واشتقاقه من الدلك، لأن الإنسان يدلك عينه عند النظر إليها(٢) وغسق الليل: شدة ظلمته(٣) .

وقوله: ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ ﴾ انتصابه لكونه معطوفاً علىٰ الصلاة، أي: وأقم قرآن الفجر أي: صلاة الصبح، (٤) وسميت قرآناً، لمشروعية إطالة القرآن فيها أطول من غيرها، ولفضل القراءة فيها حيث شهدها الله، وملائكة الليل وملائكة والنهار(٥) .

وهذه الآية جمعت الصلوات الخمس المفروضة، قال ابن جزي في التسهيل: " هذه الآية إشارة إلىٰ الصلوات المفروضة فدلوك الشمس زوالها والإشارة إلىٰ الظهر والعصر، وغسق الليل ظلمته وذلك إشارة إلىٰ المغرب والعشاء وقرآن الفجر صلاة الصبح "(٦) .

وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾، المراد قيام الليل للصلاة فإنه فرض خاص بنبينا محمد ﷺ، لتكون تلك الصلاة زيادةً في علو قدره، ورفعِ درجاته، بخلاف غيره، فإنها تكون كفارة لسيئاته(٧) .

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: (٧٩، ٧٨).

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٥٥)، المفردات (١/ ٣٥٠)، الكشاف(٢/ ٦٤١).

(٣) ينظر: المفردات (٢/ ١٥٣).

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ٧٨)، التبيان في إعراب القرآن (٢/ ٨٣٠).

(٥) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص٤٦٤

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١١٦).

(٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٥/ ١٠٣)، تيسير الكريم الرحمن ص٤٦٤

وكل هذا لكرامة نبينا محمد ﷺ علىٰ الله تعالىٰ، أن جعل وظيفته أكثر من غيره، وليكثر ثوابه وليترتب علىٰ ذلك ما وعده به ربُّه تعالىٰ وهو المقام الذي ذكره الله في قوله تعالىٰ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾. وقد وصفه الله بأنه محمود لأنه يحمده فيه الأولون والآخرون، ومجيئه منكراً لأنه أفخم وأجزل⁽¹⁾.

وعسىٰ من الله الكريم إطماع واجب الوقوع فهي للوجوب، ⁽²⁾ والمقام المحمود موضع القيام، وهو المكان الذي يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس، ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم، للحديث الصحيح: " إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً، كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع، يا فلان اشفع حتىٰ تنتهي الشفاعة إلىٰ النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله مقاماً محموداً"⁽³⁾ وجاء عنه ﷺ أنه قال: " يبعث الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي علىٰ تل ويكسوني ربي ﷻ حلة خضراء ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود "⁽⁴⁾.

وجاء في السنة ما يدل علىٰ أن الله ﷻ يبعث نبيه محمداً ﷺ مقاماً محموداً وأنه يراد به الشفاعة بدليل أن المواظبة علىٰ الدعاء للنبي ﷺ بأن يبعث يوم القيامة المقام المحمود من أسباب الشفاعة، قال ﷺ: " من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة"⁽⁵⁾.

وقيل: المقام المحمود أن يجلسه ﷻ علىٰ العرش يوم القيامة، روىٰ الطبري عن مجاهد في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾، قال: " يجلسه معه علىٰ عرشه"⁽⁶⁾.

---

(١) ينظر: لباب التأويل (٤/ ١٧٦)، فتح الباري (٢/ ٩٥).

(٢) ينظر: فتح القدير (٣/ ٣٥٩).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٧٤٨) كتاب التفسير، سورة بني إسرائيل برقم (٤٤٤١).

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٤٥٦)، برقم (١٥٨٢١)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح علىٰ علىٰ شرط مسلم.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٢٢٢)، كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء برقم (٥٨٩)، وينظر: فتح الباري (٢/ ٩٥).

(٦) جامع البيان(١٧/ ٥٢٩).

والطبري: أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد الآملي، الطبري، كان رأساً في التفسير، إماماً في الفقه، =

والأول هو الأرجح لصحة الروايات الواردة عن النبي ﷺ في تفسير الآية، قال الطبري في تفسيره بعدما عرض للقولين: " وأولىٰ القولين في ذلك بالصواب ما صح به الخبر عن رسول الله"(١) ثم ساق الروايات الواردة عنه ﷺ.

مع احتمال الآية للقول الثاني الوارد عن مجاهد، لما جاء عن الإمام أحمد – رحمه الله– أنه سئل عن قول مجاهد: " يجلسه معه علىٰ عرشه ". فقال: " قد تلقته العلماء بالقبول، نسلم هذا الخبر كما جاء "(٢) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وفيها أشياء عن بعض السلف رواها بعض الناس مرفوعة، وهي كلها موضوعة، كحديث قعود الرسول علىٰ العرش.

وإنما الثابت أنه عن مجاهد وغيره من السلف. وكان السلف والأئمة يروونه ولا ينكرونه ويتلقونه بالقبول "(٣) .

فتبين مما تقدم أن نبينا محمداً ﷺ له مقام، وهذا المقام موصوف بأنه محمود، لأنه ﷺ يحصل له في ذلك المقام حمد بالغ عظيم، ولأنه يحمده فيه الأولون والآخرون، وقد جاء منكراً لأنه أفخم وأجزل. والمقام هو المكان الذي يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس، ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم، أو هو محل إجلاسه علىٰ العرش يوم القيامة الذي يغبطه عليه الأولون والآخرون، والله أعلىٰ وأعلم.

=

علامة بالتاريخ، عارفًا بالقراءات واللغة، توفي سنة (٣١٠هـ)، ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي ص٩٥، وطبقات المفسرين للداودي (٢/ ١٠٦).ومجاهد بن جبر: من التابعين، كان إمامـًا في التفسير، وأحد تلامذة ابن عباس ﷺ، توفي سنة (١٠٣هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤٩)، طبقات المفسرين للداودي(٢/ ٣٠٥).

(١) جامع البيان(١٧/ ٥٢٩).

(٢) رواه الخلال في كتاب السنة (١/ ٢٤٧)، والإمام أحمد هو: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، أبو عبد الله، إمام أهل السنة وأحد الأئمة الأربعة، وصاحب المسند اعتنىٰ بالحديث، وارتحل في طلبه، توفي سنة (٢٤١هـ).ينظر: طبقات الحنابلة (١/ ٣)، سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٧).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٣/ ١٩). وشيخ الإسلام هو الإمام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني ثم الحنبلي أبو العباس، محدث حافظ مفسر فقيه مجتهد مشارك في جميع أنواع العلوم، له مصنفات كثيرة، توفي سنة (٧٢٨ هـ)، ينظر: الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ص١٦، البدر الطالع (١/ ٥٧).

المبحث الرابع: مقام نوح عليه السلام.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١﴾ (١) .

نوح عليه السلام هو نبي الله عز وجل ورسوله، وأحد أولي العزم من الرسل، وأول رسول يرسل لأهل الأرض، دعا قومه إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له، وحذرهم من الشرك به وعبادة غيره فكذبوه وردوا دعوته فأهلكهم الله عن آخرهم ودمرهم بالغرق أجمعين.

وقد تكررت قصته مع قومه في القرآن الكريم في مواضع بصورة أكثر تفصيلاً.أما في سورة يونس وهي ما نحن بصدد الحديث عنها فقد جاءت قصته بصورة مجملة، لأن الغرض منها هنا، إبراز جانب التحدي والاستعانة بالله وحده، ونجاة نبي الله عز وجل نوح عليه السلام ومن معه وهم قلة، وهلاك المكذبين، وهم كثرة(٢) .

وإنما افتتحت القصة بفعل التلاوة التي هي القراءة لأن القوم الذين بعث فيهم محمد ﷺ تغلب عليهم الأمية، " فأراد الله أن يبلغ إليهم من التعليم ما يساوون به حال أهل الكتاب في التلاوة "(٣) .

وقوله: ﴿إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، أي: عَظُمَ وثَقُلَ عليكم. مكثي ووعظي لكم بآيات الله الكونية والشرعية(٤) .

والمقام بالفتح المكث، أي: مكثي بين أظهركم، قال الزمخشري: " قيامي ومكثي بين أظهركم مدداً طوالاً "(٥) .

---

(١) سورة يونس، الآية (٧١).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (١/ ٢١٣٨).

(٣) التحرير والتنوير (٨/ ٣٥٠).

(٤) ينظر: المفردات (٢/ ٢٧٧)، فتح القدير (٢/ ٦٦٨).

(٥) الكشاف (٢/ ٣٤١)،

والزمخشري: محمود بن عمر، المعروف بجار الله، برع في اللغة والنحو والبيان، من رؤوس المعتزلة، توفي سنة (٥٣٨هـ)، ينظر: البداية والنهاية (١٢/ ٢٣٥)، طبقات المفسرين للسيوطي ص١٠٤

وذلك أنه مكث في دعوته قومه إلىٰ الله ﷻ مدة طويلة، كما قال تعالىٰ: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾(١) .

وقال الواحدي: " ﴿إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى﴾، أي: عظُم وشقَّ عليكم مكثي ولبثي فيكم "(٢) .

ويحتمل أن يكون معنىٰ المقام القيامَ أي: الانتصاب علىٰ القدمين للوعظ والتذكير ؛ " لأنهم كانوا إذا وعظوا الجماعة قاموا علىٰ أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم ظاهراً وكلامهم مسموعـًا "(٣) .

ويحتمل أن يكون معنىٰ المقام الشأن والحال، أي كبر وشق عليكم حالي وشأني، قال ابن عاشور: " والمقام مصدر ميمي مرادف للقيام.وقد استعمل هنا في معنىٰ شأن المرء وحاله. وهو استعمال من قبيل الكناية، لأن مكان المرء ومقامه من لوازم ذاته، وفيهما مظاهر أحواله "(٤) .

وقُرئ "مُقَامِي" بضم الميم(٥) من المُقامة بالضم، أي: كبر عليكم إقامتي ساكنـًا بين أظهرهم وفي بلدهم(٦) .

فمقام نوح عليه السلام هو مكثه ولبثه بين ظهراني قومه زمنـًا مديداً، مع قيامه في مجالسهم للدعوة والوعظ التذكير، أو حال نوح ووجوده الذي سئموا منه وشق

---

(١) سورة العنكبوت، الآية (١٤).

(٢) الوجيز (١/ ٥٠٤)،

والواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، صاحب التفاسير الثلاثة البسيط والوسيط والوجيز، كان عالمـًا بالعربية والأدب، توفي سنة (٤٦٨ هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٣٩)، طبقات الشافعية للسبكي (٥/ ٤٠).

(٣) التفسير الكبير (١٧/ ١١٠).

(٤) التحرير والتنوير (٧/ ١١٠).

وابن عاشور: محمد الطاهر ابن عاشور من علماء تونس ولد ونشأ بها، ودرَّس في جامع الزيتونة، له أبحاث ودراسات كثيرة، توفي سنة (١٣٩٣هـ)، ينظر: الأعلام (٦/ ١٧٤)، معجم المفسرين (٢/ ٥٤١).

(٥) وهي قراءة أبي مجلز وأبي رجاء وأبي الجوزاء، ينظر: البحر المحيط (٥/ ١٤٥)، الدر المصون (١/ ٣٢٥٢).

(٦) ينظر: البحر المحيط (٥/ ١٤٥)، الدر المصون (١/ ٣٢٥٢).

عليهم رؤيته، أو إقامته في بلدهم، وهذا كله يصدق عليه مكان القيام وزمانه.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾، تحدٍ وعدم مبالاة بهم وبمعاداتهم لتوكله علىٰ الله وحده وثقته به سبحانه الذي يدفع عنه كل شر يراد به، وبما يدعو إليه. والمعنىٰ كما قال ابن كثير: " فاجتمعوا أنتم وشركاؤكم الذين تدعون من دون الله، من صنم ووثن، ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي: ولا تجعلوا أمركم عليكم ملتبسًا، بل افصلوا حالكم معي، فإن كنتم تزعمون أنكم محقون، فاقضوا إلي ولا تنظرون، أي: ولا تؤخروني ساعة واحدة، أي: مهما قدرتم فافعلوا، فإني لا أباليكم ولا أخاف منكم، لأنكم لستم علىٰ شيء"(١).

* * *

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٨٣).

المبحث الخامس: مقام الخليل إبراهيم عليه السلام.

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ ﴾(٢).

إبراهيم الخليل عليه السلام هو نبي الله ورسوله، وهو أبو الأنبياء وإمام الحنفاء وأحد أولي العزم من الرسل، ذكر الله عز وجل في كتابه الكريم مناقبه الحميدة ومآثره الطيبة، وكرر قصته بصور شتىٰ مع قومه، ومع أبيه، ومع أهله وأبنائه. أمره الله ببناء البيت الحرام ليكون قبلة للناس أجمعين، وليكون قصده ركناً من أركان الإسلام، حاطاً للذنوب والآثام.

وفي هاتين الآيتين إخبار من الله تعالىٰ عن شرف البيت الحرام، وأنه جعله مآباً يثوبون إليه ومباركا وهدىٰ للعالمين.

ففي آية البقرة بيان كيفية تكليف خليل الله إبراهيم عليه السلام بالإمامة في قوله تعالىٰ: ﴿ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ ﴾(٣) حيث رتب عز وجل علىٰ تكليفه الأول تكليفاً آخر وهو التكليف ببناء البيت وتطهيره(٤).

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾، معناه: صيرنا البيت وهو الكعبة مثابة للناس، أي: مرجعاً للناس يرجعون إليه من كل جانب، وهو مصدر ميمي من ثاب إذا رجع، فلا ينصرف عنه أحد إلا وهو يتمنىٰ العود إليه، لأن الأرواح تشتاق إليه وتحن، أو موضع ثواب يثابون فيه بحجهم واعتمارهم(٥) وأمناً أي: البيت مأمناً من الخوف بشتىٰ أنواعه، وإنما جعله- سبحانه وتعالىٰ - أمناً ليدل علىٰ كثرة ما يقع به من الأمن حتىٰ صار كأنه نفس الأمن(٦).

ثم جاء ذكر مقام الخليل إبراهيم عليه السلام والأمر باتخاذه مصلىٰ في قوله تعالىٰ:

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٢٥).

(٢) سورة آل عمران، الآية (٩٧).

(٣) سورة البقرة، الآية (١٢٤).

(٤) ينظر: التفسير الكبير (٤/ ٤٢).

(٥) ينظر: جامع البيان (٢/ ٢٥)، المفردات (١/ ١٦٢)، التفسير الكبير (٤/ ٤٣).

(٦) ينظر: البحر المحيط (١/ ٣٢٩).

﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾، والمقام مفعل من القيام ويراد به موضع قيام الخليل إبراهيم﵇ "وهو الحجر الذي ارتفع عليه إبراهيم ﵇ حين ضعف من رفع الحجارة التي كان ولده إسماعيل يناوله إياها في بناء البيت وفيه أثر قدميه "(١).

جاء عن سعيد بن جبير أنه قال: "الحجر مقام إبراهيم ﵇ليّنه الله فجعله رحمة، وكان يقوم عليه ويناوله إسماعيل ﵇ الحجارة "(٢).

وقيل: مقام إبراهيم الحرم كله(٣).

وقيل: مقام إبراهيم مقاماته في مواضع المناسك كلها، كمواطن الطواف والسعي والوقوف بعرفة ومزدلفة، والرمي، وسائر الشعائر، لأنه قام في هذه المواضع ودعا فيها(٤).

وقيل: مقام إبراهيم هو حجر ناولته إيّاه امرأة ابنه إسماعيل ﵇ فاغتسل عليه وهو راكب جاءته به من شق ثم من شق فغرقت رجلاه فيه حين اعتمد عليه(٥).

والمحققون من أهل العلم علىٰ الرأي الأول للأدلة الدالة علىٰ صحته، ومنها:

١- حديث عمر بن الخطاب ﵁ أنه قال: " قلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلىٰ فأنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾" (٦).

٢- حديث جابر الطويل في صفة الحج، وفيه: " ثم نفذ إلىٰ مقام إبراهيم ﵇

---

(١) روح المعاني (١/ ٣٧٩).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٣٣٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور(١/ ٢٩١) لعبد بن حميد وابن المنذر. وسعيد بن جبير الأسدي مولاهم، المقرىء المفسر، من التابعين قتله الحجاج بواسط سنة (٩٥هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢١) غاية النهاية ص١٣٤ .

(٣) رواه عن ابن عباس ﵄ ابن أبي حاتم في تفسير (١/ ٣٣٣)، ورواه عن مجاهد ابن جرير في تفسيره (٢/ ٣٤).

(٤) روىٰ ابن جرير في تفسيره (٢/ ٣٣) عن عطاء بن أبي رباح قال: " ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾ قال: قال: لأني قد جعلته إماما، فمقامه عرفة والمزدلفة والجمار ".

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره (١/ ٢٧١) عن ابن عباس، وابن عطية في تفسيره (١/ ١٩٤) عن الربيع بن أنس.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٥٧)، أبواب القبلة، باب ما جاء في القبلة، برقم (٣٩٣).
وعمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو حفص: ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لقب بأمير المؤمنين، قتل سنة (٢٣هـ)، ينظر: الاستيعاب (١/ ٣٥٤)، الإصابة (٤/ ٥٨٨)

فقرأ: ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾، فجعل المقام بينه وبين البيت "(١).

٣- دلالة اللغة عليه، فإن المقام لغة موضع القيام، وإبراهيم عليه السلام ثبت قيامه علىٰ الحجر ولم يثبت علىٰ غيره فدل ذلك علىٰ أنه موضع قدميه.

٤- دلالة العرف عليه، فإن هذا الاسم في عرف الناس مختص بذلك الموضع، فإن الناس في حجهم وعمرتهم في كل زمان يأتون إلىٰ ذلك الحجر، ويصلون خلفه ركعتي الطواف مُذ علموا بسنيته(٢).

٥- دلالة الإعجاز عليه، " فإن الحجر صار تحت قدميه في رطوبة الطين حين غاصت فيه رجلاه، وفي ذلك معجزة له، فكان اختصاصه به أقوىٰ من اختصاص غيره. فكان إطلاق هذا الاسم عليه أولىٰ "(٣)

قال ابن كثير: " وقد كان المقام ملصقا بجدار الكعبة قديما، ومكانه معروف اليوم إلىٰ جانب الباب مما يلي الحَجَر يمنة الداخل من الباب في البقعة المستقلة هناك، وكان الخليل، عليه السلام لما فرغ من بناء البيت وضعه إلىٰ جدار الكعبة أو أنه انتهىٰ عنده البناء فتركه هناك؛ ولهذا -والله أعلم-أمر بالصلاة هناك عند فراغ الطواف، وناسب أن يكون عند مقام إبراهيم حيث انتهىٰ بناء الكعبة فيه، وإنما أخره عن جدار الكعبة أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ولم ينكر ذلك أحد من الصحابة، رضي الله عنهم أجمعين" (٤).

قلت: وكان تأخير الخليفة عمر رضي الله عنه للمقام ليتمكن الطائفون بالبيت من الطواف، وليصلىٰ المصلون خلفه دون تشويش عليهم من الطائفين.هذا في زمن عمر رضي الله عنه فكيف بحالنا اليوم ؟

والأمر باتخاذه مصلىٰ معناه: القصد إلىٰ الصلاة عنده بأن يفضلوه علىٰ غيره في

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٨٦)، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، برقم (١٤٧).

وجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري من أجلاء الصحابة ومن المكثرين للرواية، توفي سنة (٧٤هـ)، ينظر: الاستيعاب (١/ ٦٦)، الإصابة (١/ ٤٣٤).

(٢) ينظر: التفسير الكبير (٤/ ٤٥) البحر المحيط (١/ ٣٣٠).

(٣) البحر المحيط (١/ ٣٣٠).

(٤) تفسير القرآن العظيم (١/ ٤١٧) بتصرف يسير.

الصلاة، لشرفه بقيام إبراهيم فيه. ولما جاء عن النبي ﷺ أنه طاف بالبيت سبعًا وصلىٰ خلف المقام ركعتين ثم خرج إلىٰ الصفا"(١).

هذا علىٰ قراء صيغة الأمر، أما علىٰ قراءة صيغة الماضي بفتح الخاء(٢) فهو إخبار بأن الناس قد اتخذوا مقام إبراهيم عليه السلام مصلىٰ يصلون عنده(٣).

أما الآية الثانية وهي آية آل عمران والتي قال الله تعالىٰ فيها: ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ ﴾(٤) فقد جاءت سياق تعظيم بيت الله المحرم وبيان شرف منزلته، وما فيه من المناقب والمزايا، وأن فيه علامات ظاهرات، " وبراهين قاطعات علىٰ أنواع من العلوم الإلهية والمطالب العالية، كالأدلة علىٰ توحيده ورحمته وحكمته وعظمته وجلاله وكمال علمه وسعة جوده، وما من به علىٰ أوليائه وأنبيائه "(٥).

وأما مقام إبراهيم عليه السلام فإنه من آياته الظاهرة وبراهينه القاطعة، وذلك من عدة أوجه منها:

١- أن المقام الحجر الذي كان يقوم عليه إبراهيم عليه السلام أثناء بناء البيت، ووجه كونه آية بقاءُ أثر قدميه عليه مع أنه صخرة من الصخور الصَّمَّاء.

٢- غوص قدمي إبراهيم عليه السلام في تلك الصخرة الصماء إلىٰ الكعبين.

٣- أن الله جل جلاله ألان بقدرته بعض هذه الصخرة دون بعض.

٤- بقاء ذلك الأثر واستمراره مع تلاشي آثار كثيرة في طيلة القرون، قال أنس ابن مالك رضي الله عنه: " رأيتُ في المقام أَثَر أصابعه وأخمص قدميه غير أنه أذهبه مسح

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٥٨٨)، كتاب الحج، باب من صلىٰ ركعتي الطواف خلف المقام برقم (١٥٤٧)، ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٠٦)، كتاب الحج، باب ما يلزم من أحرم بالحج، برقم(١٢٣٤). كلاهما عن ابن عمر رضي الله عنه.

(٢) وهي قراءة نافع وابن عامر، والباقون بصيغة الأمر، ينظر: السبعة ص١٧٠، النشر (٢/ ٢٥٣)، وينظر في التوجيه: حجة القراءات لابن زنجلة ص١١٣

(٣) ينظر: الكشاف (١/ ٢١٢)، حجة القراءات لابن زنجلة ص١١٣

(٤) سورة آل عمران، الآية (٩٧).

(٥) تيسير الكريم الرحمن ص ١٣٨

الناس بأيديهم"(١).

٥- دلالته على نبوة إبراهيم عليه السلام وأنه معجزة له، وعلى علم الله وقدرته(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾. آية أخرى من الآيات الظاهرة والدلائل القاطعة على علم الله وقدرته وحكمته وكمال علمه. وهي آية دالة على فضل هذا البيت وشرفه وهو كونه موضع الأمن والاستقرار، فمن التجأ إليه أمن من التعرض له بالأذى أو القتل، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾(٣) وفي ذلك إجابة لخليل الله إبراهيم عليه السلام القائل: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾(٤) ولا شك أن في أمن من دخل هذا البيت أكبر آية على تعظيمه وعلى علو مكانته عند الله؛ لأنه موضع أمن الناس واستقرارهم(٥).

* * *

---

(١) ذكره ابن حجر في الفتح (١٢/ ٣٠٥) وعزاه لابن وهب في موطئه، وذكره أيضًا ابن كثير في تفسيره (١/ ٤١٧) وأنس بن مالك بن النضر، أبوحمزة الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ وأحد المكثرين من الرواية عنه، سكن البصرة ومات بهاسنة (٩٠هـ). ينظر: الاستيعاب (١/ ٤٤)، الإصابة (١/ ٨٤).

(٢) ينظر: الكشاف (١/ ٤١٥)، التفسير الكبير (٨/ ١٣١)، التحرير والتنوير (٣/ ٢٤٠).

(٣) سورة العنكبوت، الآية (٦٧).

(٤) سورة إبراهيم، الآية (٣٥).

(٥) ينظر: التفسير الكبير (٨/ ١٣٢)، التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (١/ ٦٨٠).

المبحث السادس: مقام سليمان عليه السلام.

قال الله تعالىٰ: ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ ﴾(١) .

سليمانُ بنُ داودَ عليهما السلام النبي ابن النبي، أحد رسل الله الفضلاء الكرام الذين نوّه الله تعالىٰ بذكرهم ومدحهم في كتابه، وأثنىٰ عليهم بصفات الثناء والتبجيل فحمدوا الله علىٰ بلوغ هذه المنزلة.

وقد أورث الله سليمان من أبيه النبوة والملك، فانضم علم أبيه إلىٰ علمه، فكان متميزاً بالعلم الواسع والحكم بين العباد، وبقوة الفهم وإصابة الحق منذ صغره.

أورد الله تعالىٰ ذكره في مواضع متعددة من كتابه مختصراً، وبسط قصته في سورة النمل كما هو معلوم.

وهاتان الآيتان اللتان بين أيدينا ذكرتا في سورة النمل في سياق قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ وما جرىٰ لها معه، وذلك أنها لما عرفت أن نبي الله سليمان عليه السلام ليس بملك فحسب، وأنها لا طاقة لها به عزمت علىٰ القدوم إليه، عند ذلك طلب نبي الله سليمان عليه السلام من جنوده أن يحضروا لها عرشها قبل أن تأتي وقومُها منقادين طائعين مستسلمين لما أمرهم به. قال تعالىٰ: ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾.وذلك ليطلعها سليمان عليه السلام علىٰ عظيم قدرة الله جل جلاله، وعلىٰ ما وهبه سبحانه وتعالى من ملك عظيم، ونعم جليلة، وقوة خارقة(٢).

فبادر أحد جنود سليمان عليه السلام وهو عفريت من الجن بطلب إحضاره إليه بقوله: ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ ﴾.

والعفريت: من عَفَرَ، والياء والتاء للمبالغة، وهو الخبث والشيطنة، يقال: للشديد المتشيطن إذا كان معه خبث ودهاء عفريت(٣) .

ومقام سليمان عليه السلام مكانه وموضعه الذي يجلس فيه للقضاء، سمي المجلس

---

(١) سورة النمل، الآيتان (٣٨، ٣٩).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (٦/ ٢٨٦)، تيسير الكريم الرحمن ص٦٠٥، التفسير الوسيط (١/ ٣٢١٤).

(٣) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص٣٢٤، اللسان (٤/ ٥٨٣)، مادة (عفر).

مقاماً لإقامة صاحبه فيه.

قال الفراء: " يعني: أن يقوم من مجلس القضَاء. وكان يجلس إلىٰ نصف النهار. فقال: أريد أعجل من ذلك "(١) .

وقيل المعنىٰ: قبل أن تستوي من جلوسك قائما(٢) .

وقوله: ﴿ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾، أي: وإني لقوي علىٰ حمله، أمين علىٰ ما فيه، آتي به كما هو لا أنقص منه شيئاً ولا أبدله(٣) .

* * *

---

(١) معاني القرآن (٣/ ٢٦١).

والفراء: يحيىٰ بن زياد الديلمي إمام أهل العربية ومن أعلم أهل الكوفة بالنحو، مات سنة(٢٠٧هـ)، ينظر: تاريخ بغداد (١٤/ ١٤٩)، بغية الوعاة (٢/ ٣٣٣)

(٢) ينظر: المحرر الوجيز (٤/ ٩٠٣).

(٣) ينظر: معالم التنزيل (٦/ ١٦٤).

المبحث السابع: مقام المتقين.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ (٥٢)﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا (٧٥) خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٧٦)﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥)﴾(٣).

هـذه الآيـات وردت في بيـان مـا أعـده الله ﷻ لأوليائـه المتقـين الأبـرار في الـدار الآخـرة مـن السـعادة الأبديـة والنعيـم المقيم.ففـي الموضـع الأول الـوارد في سـورة الدخان يبشر الله فيه عباده المتقين بأن لهم مقامـًا أمينـًا في جنات النعيم.

والمتقون: هم الذين اتقوا ربهـم في الـدنيا بتحقيـق الإيمـان والمبـادرة بالأعمـال الصالحة واجتناب الشرك والابتعاد عن المعاصي(٤) وقـد وعـدهم الله تعـالىٰ بـالفوز بنعيم الآخرة، وأعظمه ذلك المقام الأمين الذي ابتدأ الله به في هذه الآيات.

ومقام المتقين مساكنهم ومجالسهم.

قال السمرقندي: " أي: في منازل حسنة آمنين من العذاب "(٥)

وقال ابن عاشور: "المقام: مكان القيام، ويتناول المسكن وما يتبعه"(٦).

هذا علىٰ قراءة فتح الميم "مَقام" من الفعل قام، وعلىٰ قراءة الضم "مُقـام"(٧) مـن الفعل أقام يكون المعنىٰ الإقامة أي: إن المتقين في إقامة آمنة، فالأول المكـان أمين، والثاني الإقامة آمنة، ولا تعارض بينهما.

ثم إن الله ﷻ وصف هذا المقام بكونه أمينـًا، أي: الآمن من كل مـا يخـاف منـه،

---

(١) سورة الدخان، الآيتان (٥١، ٥٢).

(٢) سورة الفرقان، الآيتان (٧٥، ٧٦).

(٣) سورة فاطر، الآيتان (٣٤، ٣٥).

(٤) ينظر: جامع البيان (٢٢/ ٥٠)، تيسير الكريم الرحمن ص٧٧٤

(٥) تفسير السمرقندي (٣/ ٢٦١).

(٦) التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٤٠).

(٧) قراءة الفتح قراءة عامة القراء، وقراءة الضم قراءة نافع ابن عامر، ينظر: السبعة في القراءات ص٥٩٣، التيسير في القراءات السبع ص١٢٧

"والأمن من أكبر شروط حسن المكان، لأن الساكن أول ما يتطلب الأمن وهو السلامة من المكاره والمخاوف، فإذا كان آمناً في منزله كان مطمئن البال شاعراً بالنعيم الذي يناله"(١) .

وللمفسرين في ذلك أقوال منها:

١- أمين من الشيطان والأنصاب والأحزان(٢) .

٢- أمنوا الموت أن يموتوا، وأمنوا الهرم أن يهرموا، ولا يجوعوا ولا يعروا(٣) .

٣- أمنوا الموت والعذاب(٤) .

وكلها أقوال متقاربة يصدق عليها معنىٰ الأمن، وتدل علىٰ أن أولياء الله المتقين في الدار الآخرة عند ربهم في مكان أمين من كل المخاوف، وفي إقامة آمنة مطمئنة. ثم أبان عن هذا المقام وهذه الحالة بأنهم﴿ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴾، أي: بساتين متنوعة وحدائق ذات بهجة تجري العيون السارحة من تحتها.وإنما جمعت الجنات باعتبار جمع المتقين، وهي جنات كثيرة مختلفة، وتنكيرها للتعظيم(٥) .

ولما ذكر تعالىٰ من أوصاف عباده المؤمنين ما ذكر من الصفات الجميلة والأفعال الجليلة ذكر إحسانه إليهم بقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴾.والغرفة الغُرَف العالية والمنازل الرفيعة في جنات النعيم، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾(٦) وذلك بصبرهم علىٰ فعل الطاعات واجتناب المنكرات، وزيادة علىٰ هذا النعيم يُتلقون بالتحايا والتسليم من ربهم ومن ملائكته الكرام ومن بعض لبعض، وهم مقيمون في نعيم دائم لا ينقطع(٧) .

---

(١) التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٤٠).

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٢/ ٥١) عن قتادة.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢٢٠) عن الضحاك.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور(٧/ ٤٢٠) عن ابن جريج وعزاه لابن المنذر.

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم (٥/ ٧٩)، التحرير والتنوير (٢٧/ ١٥).

(٦) سورة سبأ، الآية (٣٧).

(٧) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص٥٨٧

وقوله: ﴿ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾، أي: الغرفة في أعالي الجنان طابت موضع قرار وموضع إقامة لأهلها المتقين، و"مُقامـًا" بضم الميم من الفعل أقام، ويكون المعنىٰ الإقامة في الغرفة والجنة نعمت وطاب أهلها المتقون.

وإذا دخل أهلها المتقون واستقروا فيها وحسنت إقامتهم وطابت حالهم قالوا ما أخبر الله تعالىٰ عنهم بقوله: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾(١) فهم يحمدون الله ويشكرونه ويثنون عليه لأنه أزال عنهم الخوف من المحذور، وأراحهم من هموم الدنيا والآخرة، فهو صاحب الفضل والرحمة، الغفور للذنوب، الشكور للطاعة. ثم هم يحمدوه أيضا علىٰ نعمة البقاء والاستقرار في الجنة والراحة فيقولون: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ ﴾.وأَحَلَّنَا أي: أنزلنا نزول حلول واستقرار. ودار المُقامة الدار التي تدوم فيها الإقامة، فلا نبغي عنها حولاً، لكثرة خيراتها، وتوالي مسراتها، وزوال كدوراتها، وذلك الإحلال من فضل الله علينا وكرمه، لا بأعمالنا(٢)

والمُقامة الإقامة، قال الماوردي: " أي دار الإقامة وهي الجنة.وفي الفرق بين المقامة بالضم والفتح وجهان: أحدهما: أنها بالضم دار الإقامة، وبالفتح موضع الإقامة. الثاني : أنها بالضم المجلس الذي يجتمع فيه للحديث "(٣).

وقال ابن عاشور: " والمُقَامة: مصدر ميمي من أقام بالمكان إذا قطنه.والمراد: دار الخلود. وانتصب ﴿ دَارَ ٱلْمُقَامَةِ ﴾ علىٰ المفعول الثاني لـ ﴿ أَحَلَّنَا ﴾، أي: أسكننا"(٤).

---

(١) سورة فاطر، الآيتان (٣٤، ٣٥).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص٦٨٩، التفسير المنير (٢٢/ ٢٦٨).

(٣) ينظر: النكت والعيون (٤/ ٤٧٥).

والماوردي: علي بن محمد بن حبيب، القاضي أبو الحسن الماوردي البصري، كان عالمـًا عظيم القدر، له تصانيف حسان في فنون كثيرة، ومنها: الحاوي في الفقه، والنكت والعيون، وكتاب أدب الدنيا والدين، مات سنة (٤٥٠هـ).ينظر: طبقات الشافعية للسبكي (٥/ ٢٦٧)، سير أعلام النبلاء (٣٥/ ٥١).

(٤) التحرير والتنوير (١٢/ ٦٢).

فدار المُقامة التي أعدها الله تعالىٰ لعباده المتقين هي الدار التي تحسن فيها الإقامة وتدوم، والتي يرغب في المقام فيها. فلا تعب فيها ولا يمس أهلها تعب ولا إعياء ولا همَّ ولا حزن لا في أبدانهم ولا في قلوبهم. ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾، ونفي المس نفيٌ للإصابة في ابتداء أمرها، وإنما أعاد الفعل المنفي لتأكيد انتفاء المس(١).

ثم إن كل ما ورد في القرآن الكريم من كلمة عدن فهي بمعنىٰ الاستقرار والإقامة،(٢) وجنات عدن الواردة في القرآن الكريم نحو قوله تعالىٰ: ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(٣) هي بمعنىٰ الإقامة أي: مساكن طيبة لأهلها المتقين في جنات الإقامة، وإنما أضاف الجنات للإقامة، لأن الإقامة والخلود وصفها ووصف أهلها، والله أعلم.

* * *

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: (٢٢/ ١٦٩).

(٢) ينظر: المفردات (٢/ ٧٥)، (مادة عدن).

(٣)سورة الصف الآية (١٢).

المبحث الثامن: مقام الكافرين.

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا (٦٦) ﴾⁽¹⁾ .

وقال تعالىٰ: ﴿ فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ (٥٧) وَكُنُوزٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ (٥٨) ﴾⁽²⁾ .

وقال تعالىٰ: ﴿ كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ (٢٥) وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ (٢٦) ﴾⁽³⁾ .

وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا (٧٣) ﴾⁽⁴⁾ .

هذه الآيات وردت في بيان مقام الكافرين سواء كان ذلك فيما أعده الله تعالىٰ لهم في الدار الآخرة، أم كان ذلك فيما حكاه الله تعالىٰ عنهم في الحياة الدنيا.

فالموضع الأول جاء في سياق ذكر أوصاف عباد الرحمن المتقين وأنَّ منها شدة خوفهم من عذاب جهنم الشديد المخزي، وأنهم يسألون الله تعالىٰ في حذر ووجل أن يصرف عنهم" بالعصمة من أسبابه ومغفرة ما وقع منهم مما هو مقتضٍ للعذاب"⁽⁵⁾.

وذكروا لذلك سببين:

أولهما: أن عذابها كان لازماً دائماً غير مفارق، ملازمة الغريم لغريمه.

ثانيهما: أن حالها حال سيئة، فبئست المستقر والمُقام⁽⁶⁾ .

والمستقر: مكان الاستقرار والقرار وهو الموضع، والمُقام بالضم الإقامة، وهي الحالة والهيئة.

قال الطبري: " يعني بالمستقر: القرار، وبالمُقام: الإقامة؛ كأن معنىٰ الكلام: ساءت جهنم منزلاً، ومقاماً. وإذا ضُمت الميم من المُقام فهو من الإقامة، وإذا

---

(١) سورة الفرقان، الآيتان (٦٥، ٦٦).

(٢) سورة الشعراء، الآيتان (٥٧، ٥٨).

(٣) سورة الدخان، الآيتان (٢٦، ٢٥).

(٤) سورة مريم، الآية (٧٣).

(٥) تيسير الكريم الرحمن ص ٥٨٦

(٦) ينظر: التفسير الكبير (٢٤/ ٩٤).

فتحت فهو من قمت، ويقال: المَقام إذا فتحت الميم أيضا هو المجلس "(١) .

وقال الشربيني: "مستقراً، أي: موضع استقرار، ومقامـًا، أي: موضع إقامة"(٢) .

هذا علىٰ معنىٰ "مُقامـًا" بضم الميم وهي قراءة عامة القراء، وهناك قراءة بفتح الميم، أي: مكان قيام، قال ابن عطية: " وقرأ جمهور الناس مُقامـًا بضم الميم من الإقامة. وقرأت فرقة مَقامـًا بفتح الميم من قام يقوم، فجهنم ضد مقام كريم، والأول أفصح وأشهر "(٣) .

أما الموضع الثاني والثالث فقد جاء فيه ذكر مقام الكفار في الدنيا وهو مقام فرعون وقومه، قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾(٤) ﴾(٤) فلقد كانوا في نعيم وترف ففسقوا وطغوا وعتوا عن أمر ربهم فأهلكهم الله بالغرق، وأخرجهم مما كانوا فيه من البساتين والجنات الملتفة والعيون المتدفقة والأنهار الجارية، والكنوز وهي الأموال الظاهرة من الذهب والفضة ، " سماها كنوزاً لأنه لم يؤد حق الله منها، وكل مال لم يعط ولم يؤد حق الله منه فهو كنز وإن كان ظاهراً "(٥) .

وأما المقام فقد قال النحاس في معانيه: " المقام في اللغة الموضع من قولك قام يقوم، وكذلك المقامات واحدها مقامة " أهـ(٦) .

---

(١) جامع البيان (١٩/ ٢٩٧).

(٢) السراج المنير (٣/ ٢٢)،

والشربيني محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين: القاهري الشافعي الخطيب. فقيه مفسر، توفي سنة (٩٧٧ هـ). ينظر: الكواكب السائرة (١/ ٣٩٤)، التفسير والمفسرون (١/ ٣١٨).

(٣) المحرر الوجيز (٤/ ٢٦٦)،

وابن عطية هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحيم بن عطية الغرناطي، أبو محمد، كان عالمـًا بالأحكام والحديث والتفسير. ولي القضاء بمدينة المرية، توفي سنة (٥٤٦ هـ). ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي ص٥٠، طبقات المفسرين للداودي (١/ ٢٦٥).

(٤) سورة الشعراء، الآيتان (٥٧، ٥٨).

(٥) معالم التنزيل (٦/ ١١٤).

(٦) معاني القرآن (٥/ ٨٢)،

والنحاس: أحمد بن محمد بن إسماعيل، أبو جعفر، مفسر نحوي، كان واسع العلم غزير الرواية، توفي سنة (٣٣٨هـ). ينظر: البداية والنهاية(١١/ ٢٣٦)، طبقات المفسرين للداودي (١/ ٦٨).

والمقام الكريم الوارد في الآية: المنازلُ الحسنة التي كانوا يسكنونها، والمجالس البهية التي كانوا يجلسون فيها، وقيل: هي مجالس الأمراء والرؤساء التي كانت تحفها الأتباع، وقيل: هي المنابر، وقيل: مرابط الخيل لتفرد الزعماء بارتباطها عُدة وزينة فصار مقامها أكرم منزول. والأول هو الأرجح لعمومه⁽¹⁾.

وفي الآية الأخرىٰ يقول تعالىٰ: ﴿ كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٢٥ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ٢٦ ﴾⁽²⁾ وقد جاءت بأسلوب التفجع وإظهار الأسىٰ والحسرة علىٰ وجه الاعتبار والاتعاظ. فذكر تعالىٰ ما خلّفوه وراءهم من عز ومجد ونعيم وثراء، وكم خبرية للتكثير، تدل علىٰ كثرة ما تركوا من النعم التي كانوا يتقلبون فيها، وذكر هنا الزروع بدلاً من الكنوز، والزروع ما دون الأشجار⁽³⁾.

وأما المقام فقد تقدم الكلام عنه في الآية السابقة إلا ما ذُكر من أنَّ عامة القراء علىٰ فتح الميم، وهناك قراءة بالضم ⁽⁴⁾ فيكون المعنىٰ علىٰ هذه القراءة: وإقامة حسنة في هيئتها وقدرها ونفعها. فأفادت قراءة الضم معنىً جديداً وهو أن فرعون وقومه كانوا في منازل فارهة، ومجالس بهية، وإقامة حسنة في هيئتها وقدرها ونفعها.

ولما تشبث الكفار بشبهةٍ مفادها أنهم يقولون: " لو كنتم أنتم علىٰ الحق، ونحن علىٰ الباطل، لكان حالكم في الدنيا أحسن وأطيب من حالنا، لأن الحكيم لا يليق به أن يوقع أولياءه المخلصين في العذاب والذل، وأعداءه المعرضين عن طاعته في العز والراحة"،⁽⁵⁾ قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ﴾⁽⁶⁾ فافتخروا بأنهم أحسن منازل، ومتاعاً من ضعفاء المسلمين، المسلمين، واعتقدوا أنهم أولىٰ منهم بكل خير، ردَّ اللهُ تعالىٰ عليهم وأبطل شبهتهم

---

(١) ينظر: النكت والعيون (٤/ ١١٤)، معالم التنزيل (٦/ ١١٤)، الكشاف (٣/ ٣٢١).

(٢) سورة الدخان، الآيتان (٢٦، ٢٥).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٦٤)، التفسير المنير (٢٥/ ٢٢٢).

(٤) وهي قراءة قتادة وابن هرمز ومحمد بن السميفع اليماني ونافع في رواية خارجة عنه، ينظر: المحرر الوجيز(٥/ ٦٤)، الدر المصون (١/ ٥١٣٠).

(٥) التفسير المنير (١٦/ ١٥٠).

(٦) سورة مريم، الآية (٧٣).

بقوله: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ ﴾(١).

وقد تلخص هذا الرد في أمرين: الأول: أن الكفار الذين قبلكم كانوا أحسن منكم حالاً، وأكثر مالاً وقد أهلكهم الله واستأصلهم. والثاني: أنه وإن أملىٰ لهم فلا بد أن يأتيهم عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة أو كلاهما، وحينئذ يعلمون أن ذلك لا ينفعهم.

والمقام في قوله: ﴿ خَيْرٌ مَّقَامًا ﴾، بالفتح – وهي قراءة الجمهور – من قام، أي: مكان القيام، والمراد به مساكنهم ومنازلهم التي يسكنونها وينزلون بها. وقرأ ابن كثير المكي بالضم،(٢) من أقام بمعنىٰ الإقامة وهي طيب العيش وحسن الحالة والشأن(٣).

والشأن(٣).

فالمقام بالفتح المكان والمنزل، والضم الإقامة وحسن الحال. وكلاهما يتضمنه اللفظ علىٰ القراءتين. فالكفار ادعوا أنهم خير من المؤمنين مكاناً ومجلساً وإقامة وحسن حال وشارة وظهوراً، فأبطل الله دعواهم.

وقوله: ﴿ وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾، أي: مجلساً ومجتمعاً." والندي: المجلس الجامع لوجوه قومهم وأعوانهم وأنصارهم "(٤).

* * *

---

(١) سورة مريم، الآيتان (٧٤، ٧٥).

(٢) ينظر: السبعة في القراءات ص٤١١، التيسير في القراءات السبع ص١٠٢

وابن كثير: عبد الله بن كثير المكي الداري إمام أهل مكة في القراءة وأحد القراء السبعة ومن التابعين، توفي بمكة سنة(١٢٠هـ). ينظر: معرفة القراء الكبار (١/ ٨٧)، غاية النهاية ص١٩٧

(٣) ينظر: جامع البيان (١٨/ ٢٣٨).

(٤) أضواء البيان (٣/ ٤٨٤).

الخاتمة

أحمد الله حمدًا كثيراً أن يسر لي كتابة هذا البحث وإتمامه بعونه وتوفيقه، وأسأله جلت قدرته أن ينفع به، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم. وقد خلصت فيه إلىٰ النتائج التالية:

١- أن لفظ المقام من الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم في مواضع متعددة باللفظ

نفسه مع تنوع إطلاقاته واختلاف معانيه، وقد تجلىٰ هذا الأمر واتضح في هذه الدراسة بجمع هذه المواضع واستقصائها ودراستها دراسة تفسيرية مع العناية بإبراز الأوجه والنكات البلاغية.

٢- أن لفظ المقام لفظ جامع وقد ورد في القرآن بفتح الميم "مَقام" وبضمها "مُقام".

فالفتح علىٰ أنه مصدر ميمي، اسم مكان وهو الموضع أو المجلس، أو اسم زمان وهو المدة. والضم علىٰ أنه مصدر، ويقال: مُقامة وهو بمعنىٰ الإقامة والهيئة والحالة.

٣- أظهرت هذه الدراسة الفرق بين المقام بالفتح والمقام بالضم، وأن لكل معنىٰ مغايراً، ومع هذا الفرق فقد قرئت بعض آياته بالقراءتين أعني: الفتح والضم لتدل علىٰ سعة دلالات القرآن واحتمال ألفاظه لأكثر من معنىٰ.

٤- بينت هذه الدراسة عناية المفسرين منذ الصدر الأول بألفاظ القرآن الكريم وبعلم الوجوه والنظائر، حيث إن اللفظة تأتي متعددة في مواضعها متنوعة في إطلاقها، مع بيان دلالة ذلك وسر تكررها وتنوعها.

٥- أظهرت هذه الدراسة مدىٰ أهمية البحث بجمع ألفاظ القرآن الكريم التي تطلق مع اختلاف متعلقاتها وتعددها مما حواه كتاب الله، واهتم به المفسرون، كما أظهرت هذه الدراسة شيئًا مما اشتمل عليه كتاب الله من أسرار بلاغية، ونكات بديعية، لا تنفد ولا تنحصر، فمن تدبر كتاب الله العظيم، وتأمل آياته زاده ذلك إيمانًا ويقينًا وشوقًا ومحبة في قلبه، وفتح عليه من العلوم الشيء العظيم، وهذا سرٌّ من أسرار الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، وفي ثنايا هذا البحث من الفوائد التي لا

تخفىٰ علىٰ المطالع، سيما وقد حفل البحث بكثيرٍ من نصوص أهل العلم وأقوالهم في تفسير آيات (المقام).

وقد بذلت قصارىٰ جهدي في استيفاء الكلام، راجعًا حول هذه الآيات وتفسيراتها، وتحقيق أظهر الأقوال فيها إلىٰ كتب أهل التفسير، موثقًا وناقلاً عن أهل العلم كلامهم، ومستنيراً بآرائهم، حتىٰ تستبين هذه المعاني، وتُجمع شتات أفرادها في موطنٍ واحدٍ، تتم به الفوائد، وتستكمل به أوجه التأويل.

وختامًا أحمد الله جل جلاله علىٰ ما يسَّر وسهَّل، وأسأله أن يغفر زللي وتقصيري، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

* * *

المصادر والمراجع

١- إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم، أبوالسعود بن محمد العمادي، ت: عبد القادر أحمد عطا، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٢ هـ.

٢-الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر القرطبي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٤- الإصابة في معرفة الصحابة، ابن حجر العسقلاني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان. الطبعة الأولىٰ، ١٤١٢ هـ

٥- أضواء البيان أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن- محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي – نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان الطبعة: ١٤١٥ هـ.

٦- الأعلام – خير الدين الزركلي – دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط٧، ١٩٨٦م.

٧- الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، عمر بن علي بن موسىٰ البزار، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ.

٨- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٧.

٩- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٠-البحر المحيط. أبوحيان محمد بن يوسف الأندلسي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٣.

١١-بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي – تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية: بيروت،.ط، ١٤١٩هـ.

١٢- تاج العروس من جواهر القاموس- محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقّب بمرتضىٰ، الزَّبيدي- الناشر دار الهداية.

١٣- تاريخ بغداد، أحمد بن علي البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

١٤- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري

تحقيق علي محمد البجاوي - الناشر عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه.
١٥- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، نشر: الدار التونسية، ١٩٨٤م.
١٦- التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي الغرناطي.ت: محمد اليونسي، إبراهيم عطوة، دار الكتب الحديثة.
١٧- تفسير السمرقندي-نصر بن محمد السمرقندي-تحقيق: د. محمود مطرجي- دار الفكر للطباعة والنشر-بيروت، لبنان-ط١، ١٤١٨هـ.
١٨- تفسير القرآن، عبدالرزاق بن همام الصنعاني، ت: مصطفىٰ مسلم، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ١٤٠١هـ.
١٩- تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم الرازي، ت: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفىٰ الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٧هـ.
٢٠- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، ت: سامي السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط١، ١٤١٨هـ.
٢١- التفسير الكبير(مفاتيح الغيب) محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.
٢٢- التفسير المنير د. وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ
٢٣- التفسير والمفسرون، محمد بن حسين الذهبي، مطبعة السعادة، ط٢، ١٣٩٦هـ.
٢٤- التفسير الوسيط، سيد طنطاوي _ بدون معلومات.
٢٥- تهذيب اللغة- أبو منصور الأزهري، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
٢٦- التيسير فى القراءات السبع - أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني النشر: دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٤هـ. الطبعة: الثانية
٢٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مكتبة العبيكان ط٢ ١٤٢٤هـ.
٢٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار المعارف، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ

٢٩- الجامع الصحيح (سنن الترمذي) - محمد بن عيسىٰ الترمذي السلمي، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، مذيل بتصحيحات الألباني.

٣٠-الجامع الصحيح المسمىٰ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبدالباقي، نشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، السعودية ١٤٠٠هـ.

٣١-الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن أبي بكر بن فرح القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة.

٣٢-الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله ابن باز، دار الفكر ١٤١٤هـ.

٣٣- حجة القراءات: عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

٣٤- درء تعارض العقل والنقل - أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: دار الكنوز الأدبية - الرياض، ١٣٩١هـ

٣٥- الدر المصون في علوم الكتب المكنون-أحمد بن يوسف، المعروف بالسَّمين الحلبي-تحقيق: د. أحمد الخراط-دار القلم-دمشق-ط١، ١٤٠٦هـ.

٣٦- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، الناشر: دار الفكر - بيروت، ١٩٩٣هـ

٣٧- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب - لابن فرحون المالكي، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة.

٣٨- ديوان لبيد بن ربيعة، تعليق حمدو طمّاس- الناشر: دار المعرفة بيروت لبنان.

٣٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- محمود الآلوسي، ت: أبو الفضل الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤٠- السبعة في القراءات: أبو بكر أحمد بن موسىٰ بن العباس بن مجاهد التميمي تحقيق: د.شوقي ضيف الناشر: دار المعارف- القاهرة الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.

٤١ - السراج المنير فى الإعانة علىٰ معرفة بعض معانىٰ كلام ربنا الحكيم الخبير، الخطيب محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، دار النشر / دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٤٢- السنة رواية الخلال عن الإمام أحمد: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال تحقيق: عطية الزهراني الناشر: دار الراية – الرياض. ١٤١٠هـ

٤٣- سنن ابن ماجه – محمد بن يزيد القزويني – تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي – نشر: دار الفكر – بيروت

٤٤- السنن الكبرىٰ – أحمد بن الحسين بن علي البيهقي- تحقيق: محمد عبد القادر عطا، نشر مكتبة دار الباز – مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

٤٥-سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٦ هـ.

٤٦- شعب الإيمان- أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٠ هـ.

٤٧-الصحاح-تاج اللغة وصحاح العربية- إسماعيل بن حماد الجوهري، ت أحمد عبد الغفور عطار-دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٩٠م.

٤٨-صفوة التفاسير، محمد بن علي الصابوني، دار القلم، بيروت، لبنان، ط٥.

٤٩- طبقات الحنابلة: أبو الحسين، محمد بن محمد بن أبي يعلىٰ، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة - بيروت.

٥٠- طبقات الشافعية الكبرىٰ ـ تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د.عبد الفتاح محمد الحلو، دار النشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع - ١٤١٣هـ الطبعة: الثانية.

٥١- طبقات المفسرين- أحمد بن محمد الأدنروي- تحقيق: سليمان بن صالح الخزيم، الناشر: مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٧.

٥٢-طبقات المفسرين، عبد الرحمن السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

٥٣-طبقات المفسرين، محمد بن علي الداودي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

٥٤-العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي. الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٥٥- غاية النهاية في طبقات القراء - محمد بن محمد بن الجزري. -دار الكتب العلمية-بيروت، لبنان-ط٣، ١٤٠٢هـ.

٥٦-غرائب القرآن ورغائب الفرقان- نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري - دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٦ هـ ط الأولىٰ.

٥٧- غريب القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري – تحقيق: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية، السنة: ١٣٩٨ هـ

٥٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - تحقيق وتعليق: العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب- رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها: محمد فؤاد عبد الباقي- نشر دار الفكر.

٥٩- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير-محمد بن علي الشوكاني.دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٦٠-الفروق اللغوية - أبو هلال العسكري- تحقيق حسام الدين القدسي –دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٦١-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٦٢-الكشف والبيان - أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ١٤٢٢ هـ الطبعة: الأولىٰ.

٦٣- الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة - نجم الدين محمد بن بدر الدين الغزي. بدون معلومات.

٦٤-لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد الشيحي، المعروف بالخازن تحقيق وتصحيح: محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٦٥-لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١ ١٤١٠هـ.

٦٦-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ت: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ

٦٧-مسند الإمام أحمد - أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني- تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين نشر مؤسسة الرسالة – الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

٦٨-المصنف في الأحاديث والآثار- أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي/ تحقيق: كمال يوسف الحوت - الناشر: مكتبة الرشد، الرياض.

٦٩- معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: خالد العك، مروان سوار، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ.

٧٠- معاني القرآن الكريم، أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني: الناشر: جامعة أم القرىٰ - مكة المكرمة الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٩.

٧١ - معاني القرآن - يحيىٰ بن زياد الفراء-تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار – بدون معلومات.

٧٢- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري الزجاج، عالم الكتب، بيروت لبنان، ط١- ١٤٠٨هـ.

٧٣-المعجم الكبير- سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني- الناشر: مكتبة العلوم والحكم – الموصل - الطبعة الثانية، ١٤٠٤ – ١٩٨٣.

٧٤-معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الحسين بن المفضل الأصفهاني، تحقيق: نديم مرعشلي، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٧٥-معجم المفسرين، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، ط٣، ١٤٠٩هـ.

٧٦- المعجم الوسيط-د. إبراهيم أنيس وعلماء آخرون-بدون معلومات.

٧٧- معرفة القراء الكبار علىٰ الطبقات والأعصار: محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٤هـ.

٧٨- النشر في القراءات العشر-محمد بن محمد ابن الجزري-أشرف علىٰ تصحيحه ومراجعته: علي محمد الضباع -شيخ عموم المقارئ: بالديار المصرية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٧٩- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ.

٨٠- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس الناشر: دار صادر- بيروت - لبنان، الطبعة الأولىٰ: ١٩٦٨م.

٨١ النكت والعيون في تفسير القرآن: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد ابن حبيب، الشهير بالماوردي تحقيق: السيد ابن عبد المقصود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان .

٨٢-النهاية في غريب الحديث والأثر - أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوىٰ - محمود محمد الطناحي الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ.

٨٣- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥هـ.

* * *